علي الجميل

Aly Djémil.

فجع الادب العراقي ونكبت صحافتنا بفقد كاتب وصحفي هو المرحوم علي الجميل رئيس تحرير جريدة «صدى الجمهور» في الموصل وأحد صاحبيها وقد عرفت الفقيد ردحا من الزمن وعرفت فيه نزعته الادبية وحبه لخدمة بلاده في سبيل الادب والصحافة .

ولد علي في الموصل سنة ١٣٠٨هـ في بيت معروف فعلمته اخت له القراءة العربية في البيت وجعلته يتقن الخط على استاذ . ثم انخرط في سلك طلاب المدارس الاهلية حيث درس القرآن الكريم وكان جد ولوع بالدرس على صغر سنه حتى لتروي امه انه طفق يكتب وهو ابن خمس سنين فقط . وبعد التعليم الابتدائي اختلف الى المدارس العلمية المحلية في المعاهد الدينية فقرأ الاجرومية وشرح القطر على المرحوم السيد محمد الفخري كما قرأ عليه الفية مالك وشرح السيوطي وشرح كافية الجامي وكتبا مختلفة في المنطق القديم والبيان والبديع . وتتلمذ مدة على المرحوم سليمان الجليلي وطلب الادب العربي والشعر على المرحوم السيد احمد الفخري وزير العدلية الاسبق وكان يبره كثيرا و يحفظ شعره وقد نشر طائفة منه في جريدته « صدى الجمهور » ومن اساتذته في البحث والمناظرة الشيخ عثمان الديوه جي العالم المعروف في ام الربيعين .

ولما كان ابو علي تاجرا موسرا عين لابنه مدرسين خاصين يراتب يعلمونه اللغات التركية والفارسية والفرنسية فتثقف في الاولى ولم ينل حصة تذكر من الاخيرتين والتي درسه من الخط العربي الخطاط الشهير المتوفى توما قندلا فنبغ فيه وألم بصناعته .

ولما بلغ الشباب مال الى التوظف في دواوين الحكومة جريا على قاعدة أترابه في ذلك العهد فوظف كاتب ضبط في المحكمة الشرعية بالموصل سنة ١٣٢٨ لدى رئيس الكتاب فيها وكان احمد الفخري المذكور وفي عهد قاضيها راغب العقاد الدمشقي . اما راتبه الشهري فثلاثمائة غرش عثماني .

وفي خلال الحرب العظمى الفيت وظيفته فعين كاتبا في دائرة الاوقاف في

مدينته ومنها انتقل الى تحرير القسم العربي من جريدة « موصل » الرسمية والترجمة في مطبعة الولاية .

وعلى أثر أصابته بمرض سافر الى حلب فنال الشفاء فلما عاد الى مسقط رأسه وقد توفي والده تسلم اشغاله التجارية واختارته غرفة التجارة الموصلية رئيسا لكتابها براتب ٥٠٠ غرش عثماني شهريا .

وعلى أثر احتلال القوات الانكليزية لمدينة الموصل سعى علي مع الساعين في تأسيس « النادي العلمي » وهو الجمعية الادبية في مظهرها والتي كانت ترمي الى خدمة الوطن في الادب والسياسة وانتخب المترجم عضوا في لجنته الادارية ووكلت اليه اللجنة رئاسة تحرير مجلة النادي (النادي العلمي) وهي مجلة علمية فنية أدبية اخلاقية نصف شهرية صدر جزءها الاول في ١٥ كانون الثاني سنة ١٩١٩ وتوقفت عن الصدور بعد صدور الجزء الثاني . وقد قام الجميل « بشؤون تحريرها وكتب فيها مقالات عديدة ولما لبثت السلطة الاحتلالية ان سدت النادي لما شعرت أنه يشتغل بالقضايا السياسية بنزعة وطنية فتوظف علي رئيسا لكتاب دائرة الاوقاف . وظل في هذه الوظيفة مدة طويلة ثم اختلف مع بعض رؤسائه فاستعفى .

وقد اولع علي بالتحرير فكان يكتب المقالات في جريدة « النجاح » التي اصدرها خير الدين بك الفاروقي نائب الموصل في المجلس النيابي على أثر اعلان الدستور العثماني في الحديدة ونشر بعض آثاره القلمية في مجلة « لسان العرب » و « المنتدى الادبي » لسان حال الجمعية العربية القومية (المنتدى الادبي) في الاستانة . وحرر مدة جريدة « موصل » الرسمية في قسمها العربي . وراسل جريدة « المصباح » التي كان يصدرها الحاج عبد الحسين الازري الشاعر المجيد في بغداد قبيل الحرب العظمى وراسل بعد الحرب جريدة « العراق » مدة ولم تخل رسائله هذه من نزعة في تأثير الغرض على كتابته شأنه في كل ما كتبه في السياسة والادارة .

وكان يحن اشد الحنين الى مزاولة الصحافة حتى اذا شام الفرصة سانحة

بعد ان استعفى من وظيفته في دائرة الاوقاف انشأ جريدة « صدى الجمهور » بالاشتراك مع المحامي عبد الله فائق في الموصل فظهرت في ربيع سنة ١٩٢٧ وعهد برئاسة تحريرها الى الفقيد . وكان الامل ان تظاهر الجريدة الحركة الوطنية في الموصل ولكن سلوكها الصحفي جعلها تلبس لبعض الحالات لبوسها وتمثل سلوك منشئها السياسي وظلت تصدر مرتين في الاسبوع الى هذه الايام ولا نعلم مصيرها بعد وفاة صاحبها .

وقد الف في خلال الحرب الكبرى رسالة نزولا على رغبة الحكومة الاتحادية بعنوان « التحفة السنية في الهدية السنوسية » وطبعها في مطبعة نينوى سنة ١٩١٥ وموضوع الرسالة حركة السنوسي السياسية .

وكانت حياة الرجل تنطوي على صفحات متنوعة فبينما تراه عربيا قحا اذا هو عامل للاتحاديين يحرر الجريدة الرسمية ويسبغ على حوادث الحرب الثوب الذي يريدونه وتارة تجده حرا في فكره جريئا في اقواله وطورا تراه من اعوان السلطة مستسلما لها صاغرا وأرى ان روحه كانت مضطربة ولم يكن له من القوة النفسية ما يقوى على الثبات في طريق واحدة فقد كتب الي في كتاب خاص في ١١ نيسان سنة ١٩٢٤ يقول :

« احب الحقائق ولكنني اصبر على اشد من الجمر . واروم الجهر بالحق ثم اكف لساني فاسكت على مضض . فتراني معنيا اغلب الاحيان . وربما مرت علي ساعات الليالي الطوال فاسكب فيها دموعا على من لا يعرفها تخفيفا لآلامي المختفية بين جوانحي .

« يراني الناس في حالة واري نفسي في حالة وشتان ما بين الحالتين . لابد للعجب ان تتمزق وللالسنة ان تتفتق وللكلام ان يتدفق والحقائق ان تلوح .

« وكم لي من اشجان مسطورة على صحف منظورة طيها الالام محفوظة . تنطق بما تقرف له العين ويذوب منه الفؤاد ولئن ضن الزمان بنشرها الان فسيتلوها قوم آخرون . وهناك ينجلي الصبح لذي عينين ويخرق صوت داعي الحق الاذنين . ولكل أجل « كتاب »

وان اعلم اذا ترك مذكرات أو تآليف عالج فيها حالتنا الاجتماعية حسب

الخطة التي رسمها في السطور. لا لفتة الذكر أم كانت زفرته نزوة من نزوات الفؤاد وكان الرجل كاتبا مجيدا لا يمتاز بأسلوب خاص انما ترى فيه نزعة عصرية في دياجته نظرا الى المدرسة الادبية التي تخرج فيها. وولع بالنظم منذ حداثته فحفظ قصائد وابياتا كثيرة ونظم بعض مقاطيع وقصائد ولكنه لم يأت فيها بشيء جديد فمن نظمه قوله :

يا سراة الحي مالي	ورعاع جاؤوا غيا
نسبوا عشقي لليل	ولسلمى ابنة ريا
انا لا اختار ذلا	بعد ما كنت عليا
يا خليلي سلاها	ما الذي قيل عليا
نالت العذال منها	كلما كان قصيا
فاروها الغي رشدا	واروها الرشد غيا

وقوله :

ذكرتني في دياجي الليل ليلى ... وعلامات الحيا في وجنتيها
ثم اخفت خيفة العذال وجدا ... وغراما قد بدا من مقلتيها
بالذي اجراك يا ريح الخزامى ... بلغيها عظم شوقي اليها
ما عليها غير حفظ العهد دوما ... غير حفظ العهد دوما ما عليها

ومنها :

لست أنسى ما تقضى من زمانك ... فيه دارت اكؤسي من راحتيها
وليال قد قطعناها وغصن الـ ... أنس يبدو ساجدا بين يديها
ولذا ما هجم النوم علينا ... بحنو وسدتني معصميها

وقد اثبت نماذج من نظمه في الجزء الثالث من كتاب « الادب العصري في العراق » غير المطبوع .

وكان قد اصيب بمرض في الكلى في اثناء الحرب العالمية فقصد الى حلب وتطبب فيها وشفي على نحو ما ذكرت هنا وفي موضع آخر . ثم اصيب في الاشهر الاخيرة بعرض نظنه مرض الكلى او الزحار فقصد الى حلب وهناك انطفأ سراج حياته بعد بط (عملية جراحية) في ليلة الاثنين ١ تشرين الاول ١٩٢٨ وحمل جثمانه الى الموصل فوصلها صباح ٣ تشرين الاول ١٩٢٨ فدفن في المقبرة الواقعة قرب جامع النبي شيت مبكيا عليه من اصدقائه ومحبيه . ففي ذمة الله أيها الكاتب الصحفي .

وفائيل بطي